السنة السابعة والأربعون

قال الواقدي: وفيها عَزلَ معاويةُ عبدَ الله بنَ عَمرو بن العاص عن مصر، وولَّاها معاويةَ بنَ حُدَيْج، فمرَّ به عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر الصديق وقد قَفَل من الإسكندرية، فقال له: يا ابن حُدَيْج، لقد أَخَذْتَ من معاوية جَزاءَك حين قتلتَ محمدَ بنَ أبي بكر، إنَّما فعَلْتَ ذاك لهذا، فقال: ما قتلتُه إلا لِما صنع بعثمان، فقال عبد الرحمن: لو كان كما قُلْتَ لَما كُنتَ أوَّلَ مبايعٍ معاويةَ بعد التحكيم، لأنك لو طلبتَ دمَ عثمان لم تَشْرَكْهُ فيما صنع[١].

وفيها بعثَ زيادٌ الحَكَمَ بنَ عمرو الغِفاريَّ إلى خُراسان، فغزا جبالَ الغَوْر، فأَصابَ غنائمَ كثيرةً، فلما قَفَلَ الحَكَمُ من غَزاتِه مات بمرو. كذا قال الطبري[٢].

وذكر ابنُ سعد أنَّه مات سنة خمسين[٣]، وسنذكره هناك.

وفيها سار عبد الله بن سَوَّار العبدي إلى قِيقان في بلاد التُّرك، فأَوغل فيها من غير دليل، ففتح حصوناً كثيرة، وغنم أموالاً عظيمةً، ثم رجع وقد كمن له التركُ في المضايق، فقتلوه، وأخذوا ما كان معه[٤].

واختلفوا فيمن حجَّ بالناس، فقال الواقديُّ: عتبة بن أبي سفيان، وقال هشام: عنبسة بن أبي سفيان[٥].

وفيها توفي

قيس بنُ عاصم

ابنِ سِنان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبيْد بن مُقاعِس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ذكره ابنُ سعد[٦] في الطبقة الرابعة مِمَّن أسلم من العرب، ورجع إلى بلاد قومِه، وكُنيتُه أبو علي، وقيل: أبو قَبِيصة.

---

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٢٢٩. ومن قوله: فمرَّ به عبد الرحمن بن أبي بكر... إلى هذا الموضع، ليس في (م).
(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٧٠.
(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٩/ ٣٧٨ (مخطوط دار البشير).
(٥) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٢٣٠.
(٦) في «الطبقات» ٦/ ١٦١، وذكره أيضاً ٩/ ٣٥ فيمن نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ. ولم ترد هذه الترجمة في (م).

وقد ذكرنا أنه وفد على النبيِّ ﷺ، فأكرمه وأجازه وقال: «هذا سيِّدُ أهلِ الوَبَر».

وقال هشام: كان جَواداً حليماً، وإليه انتهى الحِلْمُ في زمانه.

حدَّثنا عبد الوهَّاب بنُ علي الصوفيّ بإسناده عن أبي عثمان المازني قال: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاء يقول: قيل للأحنف بنِ قيس: مِمَّن تعلَّمْتَ الحِلْمَ؟ قال: من قيس بن عاصم، بينا نحن جلوسٌ عنده إذ جاءت خادمٌ بسَفُّودٍ[1] فيه شِواء، وبين يديه ولدٌ صغيرٌ له، فوقع السَّفُّود من يَدها على الولدِ، فَنَشَّ[2] ومات، فبُهتت الجاريةُ، فقال لها قيس: لا بَأْسَ عليكِ، أَنْتِ حرَّةٌ لوجه الله تعالى[3].

وبالإسناد عن أبي عمرو بن العلاء قال: قيل للأَحنفِ بن قيس: مِمَّن تعلَّمْتَ الحِلْمَ؟ قال: من قَيْس بن عاصم: بَيْنا نحن جلوسٌ عنده وهو قاعدٌ مُحْتبٍ بفِناءِ بيتِه بكِسائِه، إذ جاء جماعةٌ قد أقبلوا وفيهم مقتولٌ وآخَرُ مكتوف، فقالوا: هذا ابنُك مقتول؛ قتله ابنُ أَخيك، وهو المكتوف، قال: فوالله ما حلَّ حَبْوَتَه، ولا قطعَ كلامه حتى فرغ منه، ثم التفت إلى ابنٍ له فقال: وارِ أخاكَ، واحمل إلى أُمِّه مئةً من الإبل، فإنَّها غريبةٌ، وأطلق ابنَ عمِّك، ثم قال لابنِ أخيه: قَطَعْتَ رَحِمَك، وقَلَّلْتَ عددَكَ، فلا أَبعد الله غيرك. ثم قال:

إني امرؤٌ لا شائنٌ حَسَبي ... دَنَسٌ يُغَيِّرُه ولا أَفْنُ

من مِنْقَرٍ في بيتِ مَكْرُمَةٍ ... والغُصْنُ يَنْبتُ حوله الغُصْنُ

خُطباءُ حين يقولُ قائلهم ... بيضُ الوجوه أَعِزَّةٌ لُسْنُ

لا يَفْطَنُون لِعيبِ جارهمُ ... وهُمُ لِحُسْنِ جوارِه فُطْنُ

وقد ذكرنا أنه مِمَّن أَسلمَ من العرب، ورجع إلى بلاد قومه[4].

---

(١) السَّفُّود، بوزن التَّنُّور: الحديدة التي يُشوى بها اللحم. (مختار الصحاح).

(٢) أي: جفَّ وذهب ماؤه.

(٣) ينظر «المستطرَف من كل فنّ مستظرف» ١/ ٢٦١.

(٤) ينظر «عيون الأخبار» ١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، و«العقد الفريد» ٢/ ٢٧٧، والشعر بنحوه في الحماسة ٤/ ١٥٨٤. بشرح المرزوقي. وقال في شرحه: الأَفْنُ: أصله في استخراج اللبن من الضَّرْع حتى يخلو منه، ثم قيل: أَفِنَ الرجل، فهو مأفون: إذا زال عقله. وقوله: مِن مِنْقَر، أي: من بني مِنْقَر، واللُّسْن: جمع لَسِن، وهو الذي تناهى في البلاغة والفصاحة، والفُطْن: جمع فَطِن.

وقال ابن سعد بإسناده عن خليفة بن الحُصين، عن[١] قيس بن عاصم، أنه أسلم، فأمره النبيُّ ﷺ أن يغتسل بماءٍ وسِدْر.

قلت: وبهذا الحديث يحتجُّ أحمد بن حنبل على وجوب الغُسل على الكافر. وعندنا في الفقهاء لا يجب، والأمرُ للاستحباب. وعامَّة الصحابة أسلموا ولم يغتسلوا.

وقال الشعبيّ وابنُ سعد[٢]: كان قيسٌ قد حرَّم على نَفْسِه الخَمْرَ في الجاهلية، وسببُه أنَّه سَكِر ليلةً، فعبث بذي مَحْرَم له، فهربَتْ منه، فلما أفاق أخبره أهلُه بما صنع، وحرَّم الخمرَ على نَفْسِه وقال:

رأَيْتُ الخمرَ مُصلحةً وفيها ... مقابحُ تفضحُ الرجلَ الكريما
فلا واللهِ أَشربُها حياتي ... ولا أَشفي بها أبداً سقيما

وقال الواقدي: نزل قيس البصرة ومات بها سنة سبع وأربعين.

وقال ابنُ سعد[٣]: وهو الذي قيل فيه:

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تَهَدَّما

ذكر ابن سعد هذا البيتَ لا غير، وهو بعضُ أبياتٍ أوَّلُها:

عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاءَ أن يترحَّما
تحيَّةَ من أولَيْتَه منك نعمةً ... إذا ذُكِرتْ أَمثالُها تملأُ الفَما
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنَّه بنيانُ قومٍ تهدَّما
تحيَّةَ من أَلبَسْتَه منك نعمةً ... إذا زارَ عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما

قلت: والأبياتُ في الحماسة، وهي لعَبْدَةَ بنِ الطبيب[٤].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): بن. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٩/ ٣٥ ـ ٣٦. وهو في «المسند» (٢٠٦١١).

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ١٦١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الأبيات الثلاثة الأولى في «المنتظم» ٥/ ٢٢٢، وجاء في «الحماسة» شرح المرزوقي ٢/ ٧٩٠ ـ ٧٩١، ثلاثة أبيات، جاء الأول والثالث منهما باللفظ الذي ذكره المصنف، وأما صدر الثاني فهو: تحيةَ من غادرتَه غرض الردى.
وجاء أيضاً في «عيون الأخبار» ١/ ٢٨٧ ثلاثة أبيات، وقد ورد الشطر الثاني للبيت الثاني في شعر عمرو بن العاص في مخاطبته لعمارة بن الوليد لما خرجا إلى النجاشي، وسلف ص٣٥ في السنة الثانية والأربعين في ترجمة عمرو. وينظر أيضاً «الوافي بالوفيات» ٢٤/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

وقال ابنُ سعد: حدثنا خلَّاد بن يحيى، عن سفيان الثوريّ قال: حدَّثني أسلم، عن رجل، أن النبيَّ ﷺ قال لقيس بن عاصم: «هذا سَيِّدُ أَهلِ الوَبَر».

وقال ابن سعد بإسناده عن مطرِّف، عن حكيم بن قيس بن عاصم قال: أوصى [قيس ابن عاصم] بنيه عند موته فقال: يا بَنِيَّ، سوِّدُوا عليكم أكْبَرَكُم، فإن القومَ إذا سوَّدوا أكبرهم خَلَفُوا آباءهم، وإذا سوَّدوا أصغرَهم أَزْرى بهم عند أكفائهم، وعليكم بالمالِ واصطناعِه، فإنه مَأْبَهَةٌ للكريم، ويُسْتَغْنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألةَ الناس، فإنَّها من أَخِرِ مكسبة الرجل[1]، ولا تنوحوا عليَّ، فإن رسول الله ﷺ لم يُنَحْ عليه، ولا تدفنوني حيثُ تشعر بي بكر بن وائل، فإني كُنْتُ أُغاوِلُهم في الجاهلية.

قلت: أما قولُه: سوِّدوا أكبركم، فهذا على شرطِ أن يكونَ أهلاً للسؤدد، سالكاً مسلَكَ أبيه في الحلم والجودِ ومكارمِ الأخلاق، وكم من صغيرٍ أمثلُ من كبير؛ قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقوله: قد كُنتُ أُغاولهم في الجاهلية، قد ذكرنا بعضَ واقعاته في صدر الكتاب في أيام العرب.

وقال هشام: لما احتُضِر قيس؛ بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أَخافُ أن يموتَ الحِلْمُ بعدي.

وقيس بن عاصم من شعراء الحماسة[2].

أَسند قيسٌ الحديثَ عن رسولِ الله ﷺ.

وليس في الصحابة من اسمُه قيس بن عاصم سوى رجلين؛ أحدهما هذا، والثاني أسدي، وله رؤية، وليس له رواية[3].

---

(١) أَخِر، أي: أدنى وأرذل، ونقل محقق «الكامل» للمبرد ١/ ٢٧٣ زيادة عن إحدى نسخ الكتاب أن لفظة «أَخِر» بقصر الهمزة لا غير، وأن من رواه بالمدّ فقد أخطأ.

(٢) ينظر «الحماسة» ٤/ ١٥٨٤ (بشرح المرزوقي).

(٣) ينظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص٢٤٣ و ٣٠٦.

وقد أخرج أحمد في «المسند» لقيس بن عاصم صاحب هذه الترجمة حديثَيْن: أحدهما الذي رويناه عن ابن سعد أن النبيَّ ﷺ أمره لَمّا أسلم أن يغتَسِل بماءٍ وسِدْر. أخرجه أحمد عن عبد الرحمن، عن سفيان، عن الأَغرِّ، عن خليفة؛ وذكره[١].

والثاني: قال أحمد بإسناده عن شعبة بن التَّوْأَم، عن قيس بن عاصم، أنه سأَل النبيَّ ﷺ عن الحِلْف، فقال: «ما كان في الجاهلية فتمسَّكوا به، ولا حِلْفَ في الإسلام»[٢].

السنة الثامنة والأربعون

فيها غزا عقبةُ بن عامرٍ الجُهَنيُّ في البحرِ بأهلِ مصر، فأوغل في الجزائرِ، فغَنِم وسَلِم، وشَتَا أبو عبد الرحمن القَيْنيُّ[٣] بأنطاكية.

وقال الطبريّ[٤]: وفيها بعثَ زيادُ بنُ أبيه غالبَ بنَ فَضَالة الليثيَّ على خُراسان، وكانت لغالب صحبةٌ لرسولِ الله ﷺ.

قلت: وقلَّد جَدِّي رحمه الله الطبريَّ في هذا، وهو وَهْم[٥]؛ فإنه ليس في الصحابةِ من اسمه غالب بن فَضالة. وجُملةُ من اسمه غالبٌ من الصحابة اثنان: غالب بن أَبجر المُزَنيُّ، ويقال: غالب بن دِيخ[٦]. والثاني: غالب بن عبد الله بن مسعر بن جعفر الليثي، وكلاهما له صحبة ورواية، ذكرهما جَدِّي في «التلقيح» ولم يذكر من اسمُه غالب بن فَضالة[٧].

---

(١) مسند أحمد (٢٠٦١١)، وخليفة: هو ابنُ حُصين بن قيس بن عاصم، وروى الحديث عن جدّه.

(٢) مسند أحمد (٢٠٦١٣). ولم ترد ترجمة قيس بن عاصم في (م).

(٣) في (خ) و (م)، و«المنتظم» ٥/ ٢٢٣: القيسي، وهو خطأ، وهو من بني القَيْن، ويقال: عبد الرحمن، له ترجمة في «تاريخ دمشق» في الأسماء وفي الكنى، وينظر «تاريخ خليفة» ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ و «الإصابة» ١١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٤) في «تاريخه» ٥/ ٢٣١. والكلام السالف فيه.

(٥) المنتظم ٥/ ٢٢٣.

(٦) بعده في «التلقيح» ص٢٤٠. ويقال: ابن دريح.

(٧) التلقيح ص٢٤٠. وذكر الذهبي غالب بن فضالة في «التجريد» ٢/ ١ وقال: لعله غالب بن عبد الله بن مسعر لأن شأنه شبيه بشأنه. وينظر «الإصابة» ٨/ ٥١ ـ ٥٢. ومن قوله: وقال الطبري: وفيها بعث زياد... إلى هذا الموضع ليس في (م).